مقالة في اليزيدية

نظم الراهب بهنام الموصلي السرياني
اليزيدي اصلاً الكاثوليكي مذهباً

عُني بنشرها
الاب انطونيوس شبلي اللبناني

توطئة

تعددت الاديان في العالم وانتشرت في أرجائهِ ، ودانت كلُّ امة من الناس بدينٍ مؤثرةً بهِ وزجرهِ ، متمسكةً بتقاليدها وعوائدها منشأةً على خطَّة آبائها واجدادها ، فيدين الابن بدين ابيهِ وجدّهِ ، لانهُ ترعرع وشبَّ عليهِ ولا يتأثر إلا خطى والديهِ ، فيصبح هذا الدين قبلة انظارهِ ومطمح افكاره ومسرح اطواره ، لاعتقاده ان دينهُ هذا هو الدين الصحيح ، وما سواه وهمٌ باطل ، ويرى الحيد عنهُ عارًا وجرمًا لا يُغتفر ، والأخذ بغيرهِ من الأديان لا ينبغي ان يُؤبه لهُ او يُعتبر . وكلٌّ يقول ما قالهُ المعرّي يوم كان في اللاذقيَّة :

في اللاذقيَّةِ ضجَّةٌ ما بين أحمدَ والمسيح
هذا بناقوسٍ يدقّ وذا بأذنٍ بصيح
كلٌّ يعظّمُ دينهُ يا ليتَ شعري ما الصحيح

غير ان كثيرين من ارباب الفكر والفهم لا ينثنون عن البحث والتنقيب في الأديان ومعارضة بعضها ببعض « وبضدّها تتبيَّنُ الأشياء » ليقفوا على الحقيقة بنت البحث ، فاذا ما كشف لهم العلم الصحيح والعقل النير الستارُ عنها وتجلَّت لبصيرتهم عاريةً بروعتها وبهائها ، أبوا ان يجروا على سنن التقليد الأعمى واستطابوا ذيَّاك الدين الذي درسوهُ وغربلوهُ وفحصوهُ فمالوا عليهِ واتجهت افكارهم اليهِ فدانوا بهِ وسلّموا بصحَّة عقيدتهِ وركنوا الى قوَّة حقيقتهِ .

ومن هذه الطبقة البحَّاثة المتنوّرة الراهب بهنام الموصلي اليزيديّ اصلاً الكاثوليكي مذهبًا الذي جحدَ اليزيديَّة وأخذ بدين النصرانيَّة وانضوى الى رهبانيَّة السريان الكاثوليك في دير الشرفة ، بدرعون ، لبنان ، وكتب هذه المقالة الطريفة في اليزيديين ومعتقدهم وطرائقهم واخلاقهم وعوائدهم في اعراسهم ومآتمهم الخ الخ . . . فكان كلامهُ عنهم مما يُركن اليهِ ويُعوَّل عليهِ ، وهل يُنبئك مثل خبيرٍ هو منهم وأعرف بهم ؟

وطالما شغلت الديانة اليزيدية بال عددٍ من الباحثين والمنقّبين فكتبوا عنها الفصول الطوال منها العلّامة الشهير الطيّب الأثر الاب انستاس ماري الكرملي البغدادي(١) وسواه من هواة الابحاث التاريخية العلمية(٢) ، فكانت مقالة الراهب بهنام الموصلي هذه في اليزيديّة أمدَّ رأياً وأصدق روايةً ، طبقاً لهذا المثل : « صاحبُ البيت أدرى بالذي فيه » لذلك كانت جديرةً بالاعتبار حريّةً بالانتشار .

ولمّا كنا في خريف السنة ١٩٢١ في ديرنا سيّدة النصر ، نسيبه ، في غسطا كسروان ، أخبرنا احد آباء رهبانيتنا بانهُ تعرّف الى الراهب بهنام الموصلي في دير الشرفة القريب من دير نسيبه وأعطاهُ هذه المقالة التي وضعها في اليزيديّة ليطالعها ، وهي من انشائهِ وخطّه بالحروف السريانيّة (الكرشونيّة) التي تُلفظ بالعربيّة ، كتبها بالحبر الاسود ، واما عناوينها فبالحبر الاحمر ، ولم ترل الى الآن في يد الاب الموما اليهِ وقد علّق مُنشؤها في آخرها هذه العبارة بخطّه العربي وهي بحرفها :

« كمل هذا الكتاب بدير سيدة النجاة اي دير الشرفة في قرية درعون ، بيد الفقير الراهب بهنام الموصلي وذلك في ٧ كانون الثاني سنة ١٩١٦ مسيحية »

فمن هذه النسخة الأصليّة نقلنا نسختنا بالحرف الواحد وانتهينا من كتابتها في ٨ ايلول سنة ١٩٢١ في دير نسيبه . وظلّت هذه المقالة مطويةً بين مخطوطات خزانتنا في دير سيدة المونات بجبيل طيلة ثلاثين سنة الى ان نبّهنا لها وقيّض الله تعالى لنا نشرها ، على صفحات مجلّة « المشرق » الغرّاء ، والامور مرهونة بأوقاتها ، فنقدّمها لقرّائها الأجلاء ، غير متعرّضين لاصلاح ما جاء في خلالها من الاغلاط التي تتشافى هي واصول اللغة ، لتبقى على صبغتها وصيغتها كما صدرت من قلم مؤلّفها . وفي تضاعيف سطورها ورد بعض عبارات بلغة اليزيديين الكردية أشكل علينا فهمها فرسمناها كما خطّتها انامل صاحبها .

فعسى هذه المقالة التاريخية القيّمة تروق اهل البحث فتقع منهم موقع القبول والرضى .

جبيل – دير سيّدة المونات
في ٢ تموز سنة ١٩٥١

الاب انطونيوس شبلي
اللبناني

(١) راجع مجلّة « المشرق » : ٢ [١٨٩٩] : ص ٢٣ – ١٥١ ، ٣٠٩ ، ٣٢٥ ، ٥٤٧ ، ٦٥١ ، ٧٢١ ، ٨٢٠ .

(٢) صدر في هذه السنة كتابٌ جديد عنوانهُ : « اليزيديّون في حاضرهم وماضيهم » للسيّد عبد الرزّاق الحسني ، ١٢١ صفحة بقطع كبير . مطبعة « العرفان » صيدا ، لبنان ، سنة ١٩٥١ م .

ديانة اليزيدية

طريقة اليزيدية وعوائدهم

ان اليزيدية يعتقدون باله واحد ضابط الكل، بيده كل ما في السماء وكل ما على الارض ويسمونه بالكردية : يجهـ اي الله ، وبالعربيـة ربّ العالمين ودونه الملك الطاوس او الطاووس الملك ويسمّيه عامّة اليزيدية طاووس ملك والشيخ عادي ويزيد . وهؤلاء ثلاثتهم ليسوا الّا واحدًا من الرتبة الثانية في ثلاثة فروع لا غير .

فالفرع الاول هو اذًا الطاووس الملك ، ويسمّى ايضاً عندهم الكاروبيم وهو بعد ربّ العالمين سيّد الكل وضابط ورازق الكل ، بيده اليمنى الخير وبيده اليسرى الشرّ ، يعطي الخير لمن يشاء ويلقي الشرّ على من يشاء ويزيلـه عمن يشاء . وهو ليس بالحقيقة الّا الشيطان اللعين الرجيم اذ يقولون في اصله : ان ربّ العالمين غضب يوماً على الطاوس الملك ونفاهُ من الجنـة وهو اليوم خارج عنها ، لكن في آخر يوم الدين يتصالح معه ربّ العالمين فيرجع الى عليين مـا كان عليه في بدء خلق الارضيين ماشياً في صراط الحق المبين ومن يحوله جماعة الملائكة والاولياء القديسين يحظون قدرهُ ويمتثلون امرهُ . فلهذا ترى اليزيدية يترضونهُ كل الترضي ويتقصون في اكرامه كل التقصي ، وقـد اقاموا لهُ اياماً مشهودة واعيادًا معدودة وطوافات معلومة وحفلات عندهم مرسومة . ويقولون انما نكرّم الطاووس الملك دون ربّ العالمين لان هـذا الطاوس مصدر كل الشرور والنحوس فان لم نستلفت انظارهُ علينا لم نخلص من انتقامه ، واذا ترضيناه فزنا بسعادة الدنيا والاخيرة . اما رب العالمين فهو عين الخير الصلاح لا يرى فيه اذن عيب او وصمة بل هو العصمة والجود : والرحمة لا يحقد على احد الى الابد حتى انه يتصالح مع الطاووس الملك وكل من لعنهُ في حياته فقـد هلك وعليه فانهم يقولون بجلاء الكلام الخالي من ابهام : اننـا لا نعبدهُ بل نترضّاهُ ونسترشدهُ ، والعياذ من هذا الكفر . وكما انهم يكرّمون الشيطان

يريدون ايضاً ان يكرّمهُ غيرهم . عندهم لفظة شيطان هي احتقار واذلال وكفران فلهذا لا يلفظونها البتة ولا يريدون يلفظها الغير امامهم واذا قال احد كلمة شيطان حلّ قتلهُ عندهم بل وعلى يدهم . وليس فقط لا يلفظون هذه الكلمة بل ولا كل ما يشابهها اشتقاقاً او لفظاً او رويّاً او احرفاً . فلا نقل ابدًا امامهم مثلًا : الشط والبط والحيطان والبستان والرطان والسطانة ، وهم اسم الحلزون في تلك الاصقاع ، واللعنة والنعل ولا الخس واللهانة وهو الملفوف او البرنب ولا كل ما يقرب من هذه الالفاظ في لغتهم الكردية مثل اللوبياء والفاصوليا والباميا ونحو ذلك ، بل ولهذا السبب عينهِ يُحرّم عليهم اكل هذه الخضورات كلها (ما عدا الباميا) واذا اراد احدٌ ان يهين يزيديًا او يشتمهُ يقول لهُ او امامهُ : خسّ الموصل في فمك . لان هذا الكلام هو اعظم كفر يمكن الكافر ان يتلفظ بهِ .

اما اذا اراد الانسان ان يتكلّم عن هذه الاشياء المحرّم ذكرها فيستعمل الاشتمام اي يذكر المعنى بطرائق مشعبة او بعبارات مستطيلة للعدول عن الكلم المحرّم عليهم لفظها والتخلّص منها . فاذا ارادوا ان يعنوا الشيطان مثلًا يقولون : هو او ذلك الرجل ، اي المعهود بيننا . واذا ارادوا الشطّ قالوا : الماء الكبير وغير ذلك من المصطلحات والكنايات والرموز والاستعارات .

اما الفرع الثاني فهو الشيخ عادي وهو على زعمهم الروح المقدسة والمنزّهة الانفس ، وهو يحلّ على الانبياء ويحي (ويوحي) اليهم الحقائق الدينية ويخبرهم بالغيب . والانبياء عندهم لا انقطاع لهم ويستوهبهم بالخواجك ، جمع خوجك كما سنشرحهُ في محلهِ . فهذا هو المعتقد الاصلي الاساسي لدينهم . والآن نذكر اشياء اخرى من معتقداتهم فمنها التقمّص بانواعه من وصعبر وهو انتقال النفس الناطقة المؤمنة من بدون الانسان الى الاجسام النباتية ٥صصعبر وهو انتقال النفس المؤمنة من بدون الانسان الى اجسام الحيوانات بموجب الاوصاف التي اتصفت بها في حياتها فتذهب نفس الشجاع مثلًا في جسم الأسد ونفس الجبان في جسم الارنب ٥وصعبر ٥صصعبر وهو انتقال النفس الناطقة الى الجمادات ٥صصعبر وهو انتقال النفس الناطقة من بدن انسان الى بدن انسان آخر .

ويروي البعض عن سبب اعتقادهم التقمص : ان واحداً من أمتهم لا يُعرف اسمهُ مات ، وبعد وفاتهِ ودفنهِ اخذت روحهُ تطلب مقراً فجالت على وجهِ الماء. وفي تلك الاثناء جاءت ابنتهُ لتستقي ماء وبعد ان ملأت جرتها سارت في الطريق مسافة عطشت فشربت من جرتها ، وبعد ان مضى على شربها تسعة اشهر ولدت ابناً واذا هو بالإمام عينهِ فاستدلوا بذلك على التناسخ.

ومن معتقدهم ان الملك الطاووس لم يفرض عليهم الأصوم : ههه وههه : اي ثلاثة ايام : لأ ∴ ههه وههه ∴ اي ثلاثين يوماً ولهذا السبب لا يصومون في السنة الواحدة الا هذا العدد من الايام .

ومن معتقدهم ان الله لما اراد خلقهُ بالطوفان العرمرم اراد ان يحفظ من الغرق نوحاً ههلههه فركبوا الفلك باذنهِ تعالى وطافوا على الماء. فلما نقصت المياه وغارَ جانبٌ عظيم منها اصطدمت السفينة بسنّ من جبل جودي فثُقبت فقال نوح : من لنا بسدّ هذا الثقب . قالت الحيّة : انا اقوم بذلك بشرط ان تسلّم بين يدي ابن آدم لامتصّ دمهُ . فقال لها نوح : قد رضيتُ بذلك، فلما تحوّلت ورتقت الثقب ونجا من كان في السفينة تقدمت الحيّة وقالت لنوح: انجز ما وعدتَ به . فخاف نوح على من كان من جنسهِ واخذ طريقةً اخرى لحلّ المعضلة فأخذ الحيّة وأحرقها بالنار وذرّ رمادها في الهواء فجاءت عنها البراغيث التي تمتصّ دم ابن آدم هههه فهذه الدويبات لا تفعل فعلها الّا لان نوح امرها بذلك هكذا هههه مع اومه لا يُعلم الى اليوم كيفية وجود هذه البراغيث فيها . ان ديانة اليزيدية قد حلّت لنا هذا المشكل العويص فلله درّهم من علماء لا يُشقّ غبارهم .

وقد تقدم القول بان اليزيدية يذهبون الى ان في العالم مبدأين فلا حاجة الى الاعادة . وهم يكرّمون ايضاً الظواهر الجوّية على اختلاف انواعها والنار والخبز والسراج والارواح القدسية وهي ما عَظُمَ من الاشجار من اي نوع كانت .

ومن معتقدهم ايضاً ان الله كان قد خلق جهنّم منذ الأزل لابنا. آدم الخطأة العصاة . واذا كان آدم اول من أخطأ من الناس وعرف ما يكون من حالهِ عمل لهُ بقيوتاً ويريدون به الكوز المبقبق لتُحفظ به دموعهُ فامتلأ

الكوز في السنة السابعة فأخذه من فورهِ وأفاض على نار جهنم فانطفأت نيرانهُ للحال ونجا بهذه الصورة هو وذرّيتهُ من لهب النار الحامية .

ويزعمون ان الله لم يطرد آدم وحوّا من الفردوس لعصيانها عليهِ عزّ وجلّ بل لانها دنّسا جنّة النعيم ببرازهما بعد ان أكلا من سنابلها فأتخما وتألّما من التخمة فالقى عنها غراب دهمسة منفذًا في جسديهما وأراحا بذلك طبيعتهما . فبئس قومٌ عدلوا عن صحيح الروايات الى أوخم الشراهات .

وفي معتقدهم شيء كثير من اخبار التوراة والانجيل قد حرّفها اصحابها وانتحلوا معانيها وعبثوا بها كل العبث وذيّلوها بكل بذيء يُستحى منهُ حتى يصعب علينا ايرادها لما أدخلوا فيها من المثلثيات او من التأويل التي تتجافى عنها النفوس الابيّة وتنكرها الأسماع النقيّة . وقصارى الكلام اننا رويناها من هذه الخرافات والرطازات أطهرها ذيلًا وأنزهها قولًا ، فلينظر العاقل الى ما هنالك من الاقاصيص التي تشوّهُ محاسن الآداب والاخلاق ومن ذلك يتضح لك بان ديانتهم لعبت بها هوج الرياح فأصبحت قفرًا لمجوس من أوغاد وأعجم .

أمّا من طرف الكتاب الديني الذي يتمسكون به تمسك الانسان بالكتاب المنزل فهو : مصحف رش : ورش هي كلمة كردية معناها : مصحف الأسود . وهو عبارة عن بعض صحف من القرآن حرّفوها بان جذفوا منها اسم الشيطان ولفظة اللعنة ونحو ذلك ، ولم يطلع عليهِ احد الى يومنا هذا حتى من اليزيديّة غير الفئة الاكبر بمنزلة الملأ الاكبر عند الامير الاعظم .

وفي مطاوي سنة ١٨٩٢ اراد الفريق عمر باشا ان يعرف ما في هذا الكتاب حتى اذا تحقق ان ليس فيه شيء أبقاهُ عندهُ وإلّا أحرقهُ ، فسأل عنهُ فقيل لهُ عند فلان فذهب من تمامهُ الاول فقال لهُ : عند ذلك فلما جاءهُ قال له : عند ابن فلان . فلما رأى انهم يضحكون منهُ اخذ المتقدّمين بينهم وتهدّدهم بالضرب ان أصرّوا على اخفاء المصحف فلم يجيبوهُ بنت شفة فأعمل فيهم السياط والسيف فصبروا عليها ولم ينال بمرغوبه . فلا حرج علينا اذًا ان قلنا : ونحن نجهل ايضاً بما في هذا المصحف الاسود .

اعتقاد اليزيدية في المسيح ومعتقدات المسيحيين

ولليزيدية في المسيح ، لذكره المجد ، اعتقادات غريبة لعلّهم ورثوها عن شيع قدماء الهراطقة . ويروي بعضهم في قرية او قريتين لا اكثر بان واحداً من اليزيدية لمّا رأى ان المسيح لاسه السجود يُعلّق على خشبة الصليب ويُسمّر عليها ، سبق واحداً من هذه المسامير لكي لا يتمّ وطر اليهود من صلبه . ويزعم اليزيدية بان يسوع المسيح كان نبيًّا عظيماً بل من اعظم الانبياء . وانه كلّم الناس من اول يوم ميلاده ولم ينقطع من التكلم معهم وان كان في المهد ، واظهاراً للناس بان العذراء حبلت (حَبلت) به بنوعٍ خارق العادة .

حمد الله اهل كان قد توفي منذ الف سنة ولما ترعرع اخذ يلعب كسائر الاطفال بالطين ويتخذ منهُ تماثيل بهيئة حيوانات وطيور ودويبات فكان كلما أتمّ صورة واحدٍ من هذه المجبولات لعبت به الحياة وطارَ من يديهِ ، ولمّا اكتهل أظهر لاهل العلم بانهُ من اعظم الانبياء . فكان يشفي الاكمه والابرص والمقعد ويبعث كثيرين من الاموات كانوا قد توفوا منذ الوف سنين .

ويعتقدون بعض جهلاء اليزيدية ان يزيد والمسيح اسمان لمسمًّى واحد ، غير ان العقلاء فيهم ينكرون هذا الخبط والخلط . وعند اليزيدية بُليدة صغيرة وتسمّى جلكاو بقرب ديار بكر سنّة تشبه سنّة القربان المقدس عندنا ، وذلك انهم بينما هم مجتمعون حول المائدة يأخذ المقدم بينهم كأساً مملوءةً خمرًا فيسأله الأكلاء : اث چيا : اي ما هذا . فيقول لهم : اث خاها حمص : اي هذا كأس المسيح . ثمّ يقول لهم : اث حمص بآفنه بعلما ، اي المسيح قاعد وموجود فيها : وبعد ان يشرب منها الزعيم يديرها على الجلّاس فيمصّ كلٌّ منهم مصّة حتى اذا انتهت الى الاخير ارتشفها ، وحينما يقول ذلك الكلام يقف الشارب وقوفاً ينطق بالوقار والاحترام لهذه السنّة . وهذه الشعيرة من شعائرهم ، لا تجري عند جميعهم بل عند جماعة منهم كما ذكرناها سابقاً .

العماد والختان عندهم

وعند اليزيدية العماد والختان معاً ويقولون في هذا الصدد اننا نُجري هاتين السنّتين لانه ان كانت أولاهما قد أُلغيت ولم يكن فيها فائدة افادت الثانية وإلّا فان يلغي الختان بالعماد ولا يضرّ الانسان . أمّا العماد فيكون بالصورة بعد ان يكون قد مضى على الطفل اسبوع او اكثر وربما طالت المدة الى شهر أو شهرين بل الى سنة أو سنتين اذا طالت [illegible]ير دون القيام بالواجبات الدينية يؤتى بالولد ليُعمَّد ، ولا يُعمَّد إلّا في عين ماء موجودة في مزار الشيخ عادي ، وهو مدفنة مبنيّ بهيئة كنيسة في وسط دير كبير ، وعمق هذه العين متر تقريباً وقصرها متران ، ويسمّونهُ عندهم عين البيضاء ، لان الشيخ عادي كان جاء الى هذا المحلّ ولم يرَ فيهِ ماء فطلب منهُ المشيخون لهُ ان يجترح لهُ آية ، فأخذ الشيخ عكازتهُ وضرب الصخرة وقال الماء بالعربية زم زم . وفي روايةٍ انهُ قال : أُريدُ ماء زمزماً اي كثيرًا فكان كذلك . ثمّ قال لتلاميذه : وكلُّ من يؤمن بي ويعتقد باقوالي ويعتمد بهذا الماء المبارك يكون من الخالصين في يوم الدين . وقال آخر : ان الشيخ عادي بعدما أنبع الماء أجرى اليها شيئاً من ماء القدس الشريف ، وقال آخر : بل من ماء الاردن .

وقد بُنيَ على هذه العين قبّةٌ مظلمة وبابها صغيرٌ جدًّا واطي ويلتزم داخلها (الداخل اليها) ان ينحني كلّ الانحناء ليجوزه ، فبعد ان يدخل الشيخ وحده تلك القبّة ويبيده الطفل مجرّدًا من ثيابهِ يغطّهُ في الماء ثلاثة طرقات ثمّ يضع الشيخُ يدهُ على رأس المتعمّد بعد المرّة الثالثة ويدمدم عليهِ بالصلاة قد يسمعها بعض الذين في الخارج وهي : [illegible] اي بالحرف الواحد : لقد صرتَ خروفاً ليزيد فسماك تكون شهيدًا لطريقة يزيد . وبعد ان يعمّد يعطي ابوهُ عنهُ ثلاثة غروش صاغ اذا كان ذكرًا ، وغرشين ونصف صاغ اذا كانت أنثى . أمّا الاب والأم فيبقيان دائمًا خارج الباب ولا يُؤذن لهما ان يدخلا قبّة العين .

وبعد العهد بعشرين يوماً اقلّ او اكثر يُختن الطفل ، وختانه يلزم شيخان الواحد يمسكهُ في حضنهِ والثاني يختنهُ . وأمّا الذي يمسكهُ في حضنهِ وهو الشيخ الكبير الذي بقرية بعشيقا وقبل ذلك يقول الخاتن للولد : قل ما يأتي : اهذجه اسلمو صنمو : اي ، انا خاروف يزيد المنير . واذا كان المختتن لا يُحسن التكلم يكرر تلك الالفاظ الشيخ الماسك الطفل . امّا الأبوان فيحضران هنا ومعهما من يريدان من الاصدقاء وغيرهم ليحضروا تلك الحفلة ، ومن حولهم الطبّالون والزمّارون والرقّاصون ليلهي المختون به . وبعد ان يتمّ الختان يرجع الجميع الى بيت اهلهِ ليتناولوا العذيرة سوريّة ، وهي عبارة عن الوانٍ مختلفة بعث بها الاصدقاء والانسباء وزاد عليها اهل المختون . وتدوم هذه العذيرة سبعة ايام بدون ان ينقطع الايقاع على آلات الطرب ، وعند انقطاع عذه الايام السبعة يعطي الشيخ الخاتن مجيدياً واحداً وثوباً .

اما من زعم ان عندهم شبه سرّ التوبة ، فاذا تقاتل اليزيدية فيما بينهم ثمّ ارادوا الصلح ينهض الذي عرف بخطأه ويغطي وجههُ بيديهِ ويذهب منحنياً باحترام امام الشيخ المقدّم بين الحضور ويقرُّ بذنبهِ امام الحضّار جهارًا فينصحهُ الشيخ الزعيم نصحاً شافياً ثمّ يصلي على رأسهِ ويخلّي سبيله آمرًا اياهُ ان يلثم يد خصمهِ وأيدي جميع افراد الطائفة (اي الشيوخ) الكهنوتية الحاضرين . وان لم تنتهِ العداوة عند هذا الحدّ فعلى من أذنب للمرّة الثانية (ان) يذهب الى بيت الشيخ الاعظم لتجري عليه السنّة المتقدم ذكرها . وبعد ذلك يعمد الاثيم بذبح جزورٍ وكل يوم عند شروق الشمس ينهض اليزيدي ويتجه نحوها وهو حافٍ ويخرّ راكعاً على وجههِ ثلاث ركعات اكراماً للشمس . واذا كان من حولهِ اناس يخجل من ان يُجهر بفرائض دينهِ أمامهم يتزوى في مكانٍ خالٍ من الناس للقيام بواجباته براحةٍ وهدوء وطمئنان البال .

اليزيدية يكرمون جميع القديسين الذين أُسست على اسمائهم الاديرة والكنائس المشيّدة في تلك البلاد ، ويذهبون في قداسة مولاي الاولياء انهم بلغوا هذه الدرجة من نزاهة النفس بقدر ما حلّ بانفسهم الطاووس الملك ،

ويزعمون ان هذا الطاوس سكن في نفس موسى الكليم مدةً طويلة لكنهُ سكن مدةً أطول في نفس المسيح ابن مريم . ولهذا السبب يعدّون المسيح عندهم من أعظم الانبياء الذين وُجدوا على وجهِ الارض .

واليزيدية يعتبرون اعظم الاعتبار ادیرة النصارى وكنائسهم وفيها يتحفّون ويلثمون عتبتها وحيطانها وحجارتها اجلالاً للقديس المؤسسة على اسمهِ ، ولا يفعلون ذلك اذا لم يكن القديس مشتهرًا عندهم وربّما نذروا نذرًا الى الكنائس قياماً بوعدهم أو عهدهم أو طلباً لتحقيق مرادهم . وهم لا يدخلون جوامع المسلمين ، وليس لليزيدية ذبائح يتقرّبون بها من الله ، ولا صلوات عمومية بل لهم صلاة خصوصية . أمّا من ان بعض النصارى قد شيّعوا عنهم انهم اذا اجتمعوا اخذوا يصلّون سوّيةً صلاةً جمهوريةً وهي عبارة عن كلمتين وهي : هذا هدوملا . اي ربّنا او سيّدنا : ربٌّ او سيد قويّ .

اما صلاة الخصوصية فهي موجودة عندهم في بعض اعمالهم وسننهم ولكنهم لا يسمّونها ابدًا بالصلاة ، إذ الصلاة محرّمة عندهم . غير اننا نسمّيها بالصلاة لوجودها فرضهم لاسمي المسمّى لا يعدم المسمّى من هذه الصلاة الخصوصية صلاة الصباح ، وكل يزيدي متدّين يتلوها بعد استيقاظهِ من النوم . واليك الصلاة :

[illegible]

واليك تعريبها :« طلعت عليَّ الشمس وجاء عليَّ اثنان من الجلّادين نيا مسكين قُمْ واشهد شهادة الدين وهي ان الله واحد ، والملك الشيخ حسن هو حبيب الله ، وسلّم سلاماً على الشيخ عادي وعلى أمّتهِ والقبّة الكبيرة

الموجود تحتها وعلى قبة الشيخ توريس وعلى فخر الدين (وهو اسم الشمس عندهم) وعلى الشيخ ممدحمد (والبير) وعلى المزار دير اصور ، واشهد بانهُ بقوَّة ذراع الشيخ ، اي ذراع الشيخ يزيد التي رفعها صار الناس يزيديَّة .» وبعد تلاوة هذه الصلاة يُنصب حجر وهو الهيكل عندهم ويلثمونه ويدورون حولهُ .

يقول اليزيديَّة : ان الجبل المقلوب نهض عن الارض بالطاووس الملك ليتمكن من ان يسلِّم على الشيخ عادي ، وهو المزار المشهور على بُعد مسير يوم واحد من جبل المقلوب فسلَّم عليه ، لانَّ اليزيديَّة يزعمون ان يزيد لمَّا جاء بلادهم جذبهم الى الايمان برفع ذراعهِ . وقد قال في وقتهِ : كلُّ من يتبعني يأتي تحت ذراعي . فتسارع الى ذلك اليزيديَّة فكانوا ما هم عليهِ اليوم .

صوم عند اليزيديَّة

وليس لهم الَّا صوم واحد كما مرَّ يدوم ثلاثة ايام ويقع في شهر كانون الاول ، ويؤمنون بدينونة العامة وبالحياة الابدية وبموت السرمدي . ويقولون : ان كلَّ عملٍ صالح يُكافئ في السماء ، وكلُّ عملٍ قبيح يجذب على صاحبهِ الويل والثبور والموت والعذاب في جهنم . ويؤمنون بالمطهر ويسمُّونهُ بالكردي : اجنه وه ئه ، اي نار او نور الاخيرة .

وقصارى الكلام ان لليزيدية اعتقادات أخرى يرجع اصلها كلُّها الى مأخذها من الاديان ، وهي اعتقادات مأخوذة من النصارى والاسلام ، لكنَّهم عبثوا بها كلَّ العبث حتى ابتعدت عن أمَّهاتها بجدَّة غير معروفة . وعليه لا نتعرَّض لذكر اكثر من هذا القدر واللبيب تكفيهِ الاشارة . غير انهُ بما يجدر بنا ذكرهُ هنا هو ان هذه الاعتقادات تقلُّ او تكثر وتكون بهذه الصورة او بتلك الصورة حسب الاصقاع والقرى والمدن التي يسكنونها أو حسب الناس الذين يخالطونهم . فلهذا لا يمكن ان يحصل منها شيء تتأكد منهُ معتقداتهم على قياسٍ واحدٍ عام .

طوافات اليزيدية

وعند اليزيدية طوافات عديدة وهي بمنزلة الاعياد عند سائر اهل الاديان. ومن هذه الطوافات طوافاً يكون في شهر ايلول وهو اكبر الطوافات عندهم، ويعرف بطواف الشيخ عادي ابن مسافر الشامي وهو واجب على جميع اليزيدية يتوجهون الى هذا المشهد الحافل من جميع البلاد بل ومن كل صقع وناد ومن كل حزن وواد. فيهم الشيوخ والكهول والاولاد والاحفاد والخواجك والزها والعجّز والنصف والاراد بل يشهد هذا اليوم من اليزيدية من هم في بلاد الروس من اهل الشيعة واهل العهاد، وربما انضمّ الى هؤلاء العباد زرافات من الهند فيشاركونهم بالاحتفالات والاعياد. وجميع هؤلاء الناس يلبسون افخر ثيابهم وتتزيّن النساء بافخر حليهنّ، وبعد ان يجتمعوا في معبد يعيّنه لهم الشيخ الاعظم يتوجهون الى المزار بالطبول والمزامير وهم يهرجون كالبحر الغطمطم وبايديهم الاطعمة والاشربة من مسكرة ومخدرة ومرطبة، وعندما يبلغون المزار يأكلون قليلاً ويشربون دون الخمّار ثم يأخذون بالرقص على شكل دائرة او هلال حول الزمّار والطبّال وقد مسكت النساء بايادي الرجال ثم يطوفون حول المعبد مرات معدودة في ساعة محدودة ويبقون في القصف والهوا. (والهوس) والغناء الى المساء. وعند رجوعهم الى بيوتهم يهدون السدّة شيئاً من النقود وقلوبهم مملوءة فرحاً بما اتوا في هذا اليوم المشهود.

أمّا ما كان من الشيخ عادي المعتبر عند اليزيدية كلّ الاعتبار، فقد رأيتُ في كتبهم وربّما سمعتُ منهم من هو اي انهُ مصلح هذه الشيعة. واما كيفية وجوده في هذا المزار المبني بهيئة بيعة وسط دير كبير، فاليك ما رأيتُ انا بذاتي ذلك الدير المدفون فيه اليوم الشيخ عادي. وكما يقولون ان هذا الدير كان للرهبان النصارى مشهوراً بقداسة ساكنيه. فيه بيعةٌ مبنيّةٌ على اسم القديس آدي أو ادي فنفث الطاووس الملك في صدور الرهبان ان يتركوا الصلاة والاصوام والعيشة القشفة لان الله تعالى قد غفر لهم خطاياهم كلّها واعدّ لهم

مقاماً سامياً في جنّة الخلود فسؤل اليهم ان يتزوّجوا وأن يأكلوا خبزهم بعرق وجههم . فبينما كانوا قد خرجوا يوماً من البيعة وفي مقدّمهم الصليب ليطوفوا ثلاثة ايام حول البيعة استدراراً لنعمه تعالى بالشكر وتبرّكاً بالعيد العظيم رأوا طرساً معلّقاً باعلى الشجرة التي كانت موجودة في فناء الدار فوقف الطواف عند ذلك وامر رئيس الدير ان تُنزل تلك الصحيفة وتُقرأ فلما أُنزلت وجدوا مكتوباً فيها ما يأتي : ايها الرهبان الاتقياء ان الله قد غفر لكم كباركم وصغاركم فلا تعودوا تقشّفون انفسكم بل اهجروا الدير وتأهّلوا وآتونا بولدان (بولدين) نجباء والسلام .

فلمّا وقف الرهبان على ما انطوت عليها هذه الصحيفة عجبوا كلّ العجب فقالت طائفةٌ منهم : ان هذا من الشيطان الرجيم . وقال آخرون : إن هذا إلّا من الرحمان الرحيم . ومن ثمّ ثارت الشحناء بين الفريقين ، ولما كان الغد وفعلوا ما فعلوهُ امس رأوا طرساً آخر وفيهِ مكتوبٌ ما قرأوهُ البارحة ثمّ رأوا نفس هذه الأشياء في اليوم الثالث فاتفق جميع الرهبان على ان يهجروا الدير ويفعلوا بما قرأوهُ فتفرّقوا وتزوّجوا ودانوا باليزيدية . وفي مطاوي تلك الحوادث كان الشيخ عادي قد انبأ اليزيدية الذين بتلك النواحي ان رهبان الدير المذكور يهجرون ديانتهم ويتمسّكون بالطريقة اليزيدية ويعودون الى الدنيا فيتزوّجون فيها ويرزقون اولاداً نجباء . ثمّ قال : وفي تلك الأثناء اموت فادفنوني في البيعة في محلّ المذبح الاعظم بعد ان تهدموهُ . فلما تحقّقت نبوءتهُ عن الرهبان توفي بعد قليلٍ من الزمن فأدرجت جثتهُ في الاكفان ودُفنت في ذلك المكان بأُبّهة لم تسمع بمثلها الآذان . ومنذ ذلك الحين اخذ اليزيدية يتقاطرون الى ضريحهِ في كلّ سنةٍ من السنين وحوّلوا اسم القديس آدي بالشيخ عادي .

ثمّ انهُ كان بهذا الموضع يوجد في داخل هذا المزار تاريخ يُذكر فيهِ بالكلدانية مؤسس البيعة وفي عهد اي من البطاركة بُنيت وعلى اسم من شيدت ونحو ذلك مما هو معهودٌ في مثل هذا الرقيم . غير ان اليزيدية تزعوهُ من محلّهِ خوفاً من ان يزورهُ احدٌ من النصارى فيدّعي بتلك الدير والكنيسة وأخفوهُ

ودفنوه عند مدخل باب المزار في محلٍ لا يعرفهُ إلا الامير الاعظم والفقيه . وفي مزار الشيخ عادي سُرُجاً توقد كلها كلَّ ليلةٍ وتسع الواحدة اوقية من الزيت او سراج . وفي هذا المزار خنابج لحفظ الزيت الذي يُوتى بهِ من جميع قرى تلك الاصقاع فليحتفظ بهذه الافادات عند الحاجة . ولهم ما عدا مزار الشيخ عادي مزارات أخرى عديدة ولكلّ صقعٍ مزارٌ فيهِ واحدٌ من اوليائهم المصطلح عليهِ عندهم بل بالشخص ولكلّ واحدٍ من هؤلاء الاشخاص يوم خصوصي للطواف حول مزارهِ ويجتمع اليهِ اهل تلك القرية وربما اهل القرى المجاورة لها . ففي قرية بعشيقة اشخاص منها شخص الشيخ محمد . وفي قرية بحزاني شخص ابي بكر الصدّيق وشخص سعد ومسعود ، وشخص شيخ مشلّح الصغير في بعشيقا ، وشخص سيدة نفيسة بقرية بعشيقا ، وشخص ملكي ميران ، وشخص راس العين ، وشخص الدراويش بطريق الموصل . ولكلٍّ منهم يوم معلوم في نيسان يكون فيهِ طوافٌ لاكرامهِ . وفي قرية ختاد شخص ناهش ، وفي قرية بابير شخص باطي ، وفي قرية كوجن الشيخ عزروت والشيخ شمس الدين تودس في جبل سنجار والشيخ سيباته في قرب الشيخان . وفي قرية بعشيقا الشيخ سجادين والشيخ ملكي بيرا والست خديجة الكبرى وبيرقات والشيخ حسن فردوش والشيخ خفيرا ريا والشيخ امادين والشيخ المشلّح ، وكل من يحلف بهِ بالكذب يشلحهُ اي ينزع منهُ جميع ما عنده من الاموال والارزاق ولا يُبقي شيئاً . والشيخ متى للياقبة بجبل شامخ المعروف بجبل المقلوب ليس للايزيدية ، بل للياقبة والشيخ خضر المعروف بار بهنام الشهيد وغيرهم لانهم يعيّدون لهم اعياداً ، ولجميعهم معابد خصوصية يعلوها قبّة كبيرة أو صغيرة بوجب مقام الولي أو الشيخ .

سناجق اليزيدية

يوجد عند اليزيدية سناجق كثيرة كبار وصغار ، أمّا الكبار هم ستة سناجق والصغار تقريباً عشرون وهم نظير الملوك واما الكبار هيئة الديك او طاوس من النحاس ، ولكلّ جنسٍ هيئة تختلف عن هيئة سنجق

الآخر وكلها مركبة . ومرصعة بلوالب شتى وبصفة عجيبة ، ولكل سنجق محل خاص في قصر الامير وسرير صغير من النحاس وانا بهينة الهاون موضوع امام السنجق لوضع الفلوس ، والشموع توقد امامهُ صباحاً ومساء وليل ونهار وتحرق لهُ البخور العطرة على الدوام . ولكل سنجق بلاد وُضعت في كنفهِ ، ففي جناح السنجق الاول موضوعة بلاد الشيخان وهي قرى اليزيدية الموجودة في اطراف الموصل ونواحيها ، وفي كنف السنجق الثاني جبل سنجار ، وفي ظل السنجق الثالث قرى الحالته ، وهي قضاء في اقضية ديار بكر . وفي ذراع السنجق الرابع الهورتية ويسمونها ايضاً بالكواجر وهم الرُحَّل من الاكراد اليزيدية كالبدو عند العرب . وفي ستر السنجق الخامس المليسة وهم يزيدية في اطراف حلب وسوريا ونواحيها . وفي دفء السنجق السادس السرحدار وهي يزيدية في بلاد الروس وغيرها من البلاد الخارجة عن املاك آل عثمان . فاذا جاء الربيع أخرج خدمة الدين سنجق الشيخان وطافوا بهِ بين يزيدية تلك الاصقاع فيجتمع القوالون الخصوصيون بالشيخان ، ويراد بالقوالين عندهم المغنون والمزمرون فينشدون حينئذٍ الاناشيد الخاصة بذلك السنجق . ثم يأتي الكجمة الاعظم وهو كالنقيب عند الاسلام او كالكاهن عند النصارى والكجمة كلمة فارسية ومعناها الشيخ او الشائب ، وتُطلق لفظة الكجمة ايضاً على رئيس الدراويش فيقابلها حينئذٍ عند النصارى كلمة الاسقف . وكالعال يأمر المير وهو الامير الاعظم فيرقى بسنجق الشيخان باحترام ووقار ويوضع في الكجمة وهي نوع من (الخُرج) او الجوالق عندهم والهجمة ، كلمة تركية ، ثم تُحمل على جواد مطهَّم وهو جواد الكجمة الاعظم ، وعندما يقترب المركب من احدى القرى يرسلون امامهم فارساً مقرًّا ويبشرهم بقدوم السنجق وهو ينادي كالكردي صنجق حات ومعناها جاء السنجق ، فحالاً يقومُ اهل القرية يلبسون انظف ثيابهم وأحسنها ويخرجون لاستقبال السنجق في ارض البيادر فيصطفون صفَّين متقابلين ، فيقدم السنجق والقوالون يزمرون بالمزامير وينقرون بالدفوف وينشدون الاناشيد والاغاني باللغة الكردية فتجيبهم النساء بالملاهل حاملات مجامر موقودة وفيها البخور . وثم ينادي الكجمة :

صيوه صمبلل دم صه ، ومعناها بالعربية : من منكم يضيف السنجق . فيقول واحد من الحاضرين : السنجق ضيفي بمئتي غرش : ويقول الآخر : السنجق ضيفي بمئتين وخمسين غرشاً صاغاً . والآخر ينادي : بثلاثمائة غرش ، وهلم جرًا ، الى ان تنقطع رغبة المزايدة فيه فاذا تمّ ذلك يتقدّم اللاجمة ويأخذ من على ظهر الجواد الهجبة وما فيها ويعلقها برقبة الذي انتهت اليه المزايدة فيه .

(له صلة)